نحنُ هيكلُ الله

بقلم المعلم الانطاكي الشماس

اسبيرو جبور

في رسائلِ بولس الرسول كلامٌ رائعٌ عن علاقتِنا باللهِ. في الفصل 3 من الرسالة الأُولى الى أَهلِ كورنثوس، الآية 16 و17 رائعتان : " أما تعلَمونَ أنَّكُم هيكلُ الله وأنّ روحَ الله ساكِنٌ فيكُم؟ مَن يفسِدُ هيكلَ الله يُفسِدُهُ الله، لأَنّ هيكلَ اللهِ مقَدَّسٌ، وهذا الهيكلُ هوَ أَنتُم ". نحنُ هيكلُ الله الحيّ، واللهُ هو إلهُنا ونحنُ بنوهُ وبناتُه.

ولكِنِ الله يَطلبُ منَّا أَن نتجنَّبَ كلَّ نجِسٍ وأَن نتطهَّرَ. يَطلُبُ مِنَّا أَن نَتَطَهَّرَ ونتجنَّب كلَّ إثمٍ ونتجنَّبَ كلَّ نجاسةٍ، وأَن نتطهَّرَ من كلِّ أدناسِ الروحِ والجسد وأن نُكَمِّلَ القداسةَ بمخافةِ الله. أَدناسُ الروحِ والجسد هي الخطايا. والجسَدُ في حَدِّ نفسِه لا يخطأ بل هو أَداةُ الرُّوح. فكيرلُّس الأُورشليمي وسِواه من القدِّيسين قالوا إنّ النفس هي التي تَخطأ، فالجسدُ بدون الروح جيفةٌ مثل الحجر. ولذلك فالخطيئة هي مرتبطة بإرادة الإنسان، بنفسِه، بروحِه، بنيَّاته، وبأفكارِه. الجسدُ هو أداةٌ فقط.

الأَهميَّةُ هي للروح. والجسد بدونِ الرُّوح هو تراب. مَن يُقيمُ وزنًا للجسَد بعد خروجِ الرُّوحِ منهُ؟ كلُّ الناس يُسرِعون الى وضعِ الجسد في التابوت وفي الأَرض أَو في مدافن كما يجري اليوم في محلّاتٍ عديدة. ومَن يستطيع ان يتحمَّل رائحةَ الجسد متى بدأ يتفتَّت أو يُنتِن فتَخرُج منه الروائح الكريهة؟ لكنَّ إتِّحاد الجسد بالرُّوح يُعطيهِ أَهميَّةً.

يتزلقُ الناس الى الهاوية فيتوهَّمون أَنّ جسدَهُم هو العُنصر الفاعل لأَنَّهُ هو الذي يمشي، هو الذي ينظُر، هو الذي يسمع، هو الذي يلبِس، هو الذي يأكُل ويشرب، هو الذي يشمُّ. ولكنهّم لا ينتبهون الى أنّه ليسَ بشيءٍ يُذكَر بدون الرُّوح. فلِلحيواناتِ أَجسامٌ مثلُ الإنسان والشانبانزي وما شابَهُ من الحيوانات تُشبه جسمَ الإنسان بنسبةٍ كبيرة، ولكن هل يستطيع الشانبانزي أَن يؤلِّفَ الكتُب ويملأ مكتبات العالم بعشَرات ملاّيين الكتُب؟ لا. القيمةُ إذاً للرُّوحِ التي تُفكِّر وتَعي وتَنطُق وتكتُب وتُؤَلِّف وتُقيم الحضارات والمدَنيّات وتَصنع المركبات الفضائيّة لغَزوِ الفضاء.

الخطأُ الكبير في الناس هو أَنّهم يعيشونَ لأَجسادِهم، وفي أَجسادِهم ، وفي حواسِّهم وينسونَ أَنّ الجسَدَ هو أداةٌ فقط. أَنظرُ بعينيَّ وأَسمع بأُذُنيَّ، ولكن ليس الفِكرُ في عَينيَّ وأُذُنيَّ ودماغي. الفِكرُ شيءٌ أَسمى من ذلك. الفِكرُ هو في الرُّوح التي تأكل الأُمور وتُحلِّل وتُفكِّر وتَصنع المعجزاتِ العِلميَّة وتصنع الكُتُب اللّاهوتيّة والكُتب الفلسفيّة وتتأمَّل في هذا الكَون، ولا تكتفي بنظرةٍ سطحيّةٍ الى الكَون بل تُريدُ أَن تعرِف ماذا وراءَ الكَون ومَن صنعَ هذا الكَون.

الجسدُ يُضلِّل الناس ليتوهَّموا أَنّ وجودَهُم قائمٌ في الجسد، بينما في الحقيقة الموجود الأَكبر هو الرُّوح التي تحرِّكُ الجسد. وأَنا لا أَفصل الرُّوح عن الجسد فالإنسانُ واحدٌ، في روحٍ وجسد. وِحدَةُ الشخص البشريَّة أنا أؤمن بها. لا أَشُقُّ الشخص البشري بين الروحِ

والجسد بل هو واحدٌ في الرُّوح والجسد. ولكنَّ الجسدَ يُضَلِّل الناسَ كثيراً فيعيشونَ لأجسادِهم ولِبطونِهم وكما قال أشعياء: إلهُهُم بطنُهم. لا يَرونَ أبعدَ من أنوفِهم، وبعضُهم لا يُريدُ أن يَعرِفَ أبعدَ من أنفِه، وبعضُهم غارقون في الجسَدانيّات الى الحدِّ الذي يُنكِرون معه الرُّوح ووجود الرُّوح ليعيشوا بأَجسادِهم المائتَة.

المشكلة كبيرة جداً. الجَسد يُضلِّلُنا. في كولوسي 2- 18 :" فلا يُحرِمُكُم أحدٌ جزاءَكُم بما يدعو إِلَيهِ من التواضُعِ وعِبادةِ الملائكة وما يرى من رؤًى منتفِخاً من الكِبرياءِ بتفكيرِهِ البَشَرِيّ". حسَب النص اليوناني: يجرُّ الجسدُ وراءَهُ الذِهن فيُفسِدُهُ. الذِهن في اليونانية أي "النوس" والنوس عند باسيليوس الكبير هي عينُ النفس. وإذا كانت عينُكَ مُظلِمة فجَسَدُكَ يكونُ كُلُّهُ مظلِمٌ. وإذا كان النورُ الذي فيكَ ظلامٌ، فالظلامُ كم يكون مِقدارُه؟ كثيراً.

فلذلكَ يطلبُ بولس الرسول أن نتطهَّر من كلِّ أدناسِ الروح والجسد وأن نصنعَ القداسةَ بمخافة الله. خوفُ الله يردَعُنا عن المنكِرات. النفسُ هي التي ترتكب الخطايا والجسدُ هو أَداةٌ. فهَل أسرق بدون فِكرِ السَرِقَة؟ وهل أكذِب دون نيَّة الكَذِب؟ وهل يُعاقِب القانون النائِم، إذا سقَطَ وارتكبَ ضرراً في غيرِه؟ ولَكِن أمامَ الله نبقى خاطئين لأنّ الجريمة هي الجريمة كما يُقال. المسؤولية شيءٌ والجريمةُ شيءٌ آخر. رئيسُ الجمهوريَّة يُصدِر عفواً يُعفي المجرَمَ من العِقاب ولكن هل يستطيع أن يمَحوَ خطيئَتَهُ؟ هذا شأن الكنيسة التي تمحو خطيئةَ التائبين كما علَّمَنا يسوع في إنجيل يوحنا وسِواه.

في بولس الرسول نحنُ هيكلُ الله، نحن هيكلُ الرُّوح القُدُس. نحنُ أعضاءٌ في جسدِ يسوعَ المسيح ويسوع المسيح هو رأسُنا، وأعضاؤنا هي أعضاءُ المسيح، والكنيسةُ هي جسدُ المسيح والمسيحُ هو رأسُها.

في الإنجيل يسوع هو الكَرمة ونحنُ الأغصان. وطالبَنا في إنجيل يوحنا ان نستقرَّ فيه ليستقِرَّ فينا. في غلاطية 3-27: " لأَنَّكُم أنتم الّذينَ بالمسيحِ اعتَمَدتُم، المسيحَ قد لبِستُم". في رومية: نحن مولودونَ من آدم ولكن بالمعموديَّة نولَدُ من المسيح. وفي رومية الفصل 8 الآية 16 – 17 : " والرُّوحُ عينُهُ يشهد لأَرواحِنا بأَنّنا أولادُ الله. فإِن كُنَّا أَولادَ الله فَنحنُ وَرَثَةً ايضاً، وَرَثَةُ الله وشُرَكاءُ المسيحِ في الميراثِ لأَنّنا إِذا كُنَّا نتألَّم معَهُ فلِكَي نَتَمجَّدَ مَعَهُ ايضاً".

وفي غلاطيَة الفصل 4 الآية 6 –7 : " وبما أَنّكُم أَبناؤُهُ، أَرسَلَ اللهُ روحَ ابنِهِ الى قلوبِكم صارخاً: أَبّا أَيُّها الآبُ. فلَستَ بعدُ عبداً بل أَنتَ ابْنٌ، وإذا كنتَ ابْناً، فأنتَ وارِثٌ لله بالمسيح".

نحنُ أبناءَ الله وبناتَ الله. وهو يسكنُ فينا ويسيرُ فيما بيننا وهو لنا إلهٌ فنحنُ له أبناء وبَنات. كلُّنا مرتبطونَ بيسوعَ المسيح لأَنّنا أعضاءَ جسَدِه. نحن نتناول جسدَ الرب ودمَهُ فيلتصِق بنا فيتغَلغل فينا. وبالميرون المقدَّس خُتِمنا بالروحِ القدس كعُربونٍ للحياة الأبديّة ولِيوم الفداء العظيم في الآخِرَة كما يقول بولس في أفسُس. ففي أفسُس ليسَ الفِداءُ فقط بموتِ يسوعَ المسيح على الصليب ولكن الفِداءُ أيضاً في الآخرة، يومَ يضمُّنا يسوع الى جيشِهِ من القدّيسينَ والملائكة.

في الكنيسة نحن والملائكة جسدٌ واحدٌ في يسوعَ المسيح. في رسائلِ بولس وفي كلام المسيح نفسُه نحن مُطالَبون بأن نكونَ كاملين ورَحيمين مثل أبينا السماوي. في أفسُس بما أنّنا أبناءَ الله فعلينا أن نسلُكَ سلوكاً إلهيّاً، أن نقلِّدَ الله وأن نقتدي بالله. وكأبناءٍ للنور، علينا أن نَسلُكَ في النور في وضَحِ النهار لا في الظُّلمة ولا في الأَعمال الشرّيرة كما وصَفَها الربُّ يسوع وبولس في العهد الجديد. علينا أن نتطهَّر، والتطهُّر يعني أن نُصبحَ طاهرين، والطّهارة هي التخلُّص من جميع الرجَاسات: رجَاسات الرُّوح ورجَاسات الجسد. الرَجاسات هي الخطايا، والخطايا هي النجاسة وهي التي تُنجِّسُ الإنسان. فيسوع علَّمَنا أنّ ما يَدخُل الفم لا يُنجِّس الإنسان بل ما يَخرج من الفم هو الذي يُنَجِّس الإنسان لأَنّهُ من القلب تخرجُ الخطايا، والقلبُ هنا هو الإنسانُ برُمَّتِهِ. فالقلبُ في الكتاب المقدَّس يَدُلُّ غالباً على الإنسان برُمَّتِهِ.

التَطهُّر عمليَّةٌ شاقّةٌ جداً لأَنّنا نميلُ الى الشرّ منذ حداثتِنا كما يقول كاتب سِفر التكوين في الفصل الثامن. علينا أن نُقاوم ميولَنا الشرّيرة وأفكارَنا الشرّيرة وأَقوالَنا الشرّيرة.

لا تستقرُّ أفكارُنا على شيءٍ. هي تتموَّج أكثر من رِمال الصحراء وتتناقل بسرعةِ البَرق من أَقصى اليمين الى أَقصى الشمال ومن أَقصى الشمال إلى أَقصى اليمين، لا نستطيع أن نضبُطَها والشيطانُ لنا بالمرصاد ليُدنِّسَنا. ففي أوانِ الصلاة يدنِّسُنا بأفكارٍ شريرة. يوحنا الدمشقي قال: لقد وقَفتُ على أبوابِ هيكَلِك وعن الأفكار الرديئة لم أبتعِد. كلُّ انسانٍ في الكنيسة مجتهد في جَمعِ أفكارِهِ لأَنّ الشيطان يجعَلُه ينتقل من فِكرِ الصلاة الى أفكارٍ غريبة عجيبة فيأتيه بأفكارٍ من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب ويُضيِّعُهُ عن الصلاة وعن التأمُّل وعن جَمعِ ذاتِه. والشيطانُ مُشتِّتٌ كبيرٌ لأَفكارِنا وهو دائمٌ لنا بالمرصاد، لا يُريدُنا أن نجمعَ أفكارَنا حَولَ اسمِ ربّنا يسوعَ المسيح. عدُوُّه الأكبر هو إسم ربنا يسوع المسيح الذي يَكويهِ ويجلِدهُ. فلذلك كلّما اجتهدنا في جَمعِ أفكارَنا حولَ ربّنا يسوعَ المسيح شنَّ علينا حرباً شَعواء. وبطبيعةِ الحال أفكارُنا لا تستقرُّ. من طَبعِها التَشتُّت والتَمهُّل والتَبدُّل والتغيُّر والسَّير مع كلِّ ريحٍ. تتمتَّع أفكارُنا بقُدَرةٍ كبيرة على الحرَكة فتنتقل يُمنةً ويُسرةً. وكلّما أَرَدنْا أن نَحضَرَ بفكرِنا أَمامَ الله، قاوَمَنا الشيطان ليُخرجِنَا من حَضرة الله. فهوَ عدوُّ التقوى والإيمان.

الإِنسانُ سريعُ الإنزلاق لأَنّ أهواءَهُ تَجرُّهُ الى الإنزلاق. فالحربُ مُشتعِلةٌ بين الضميرِ الحيِّ وبين الأَهواءِ بلا هَوادة، وتبقى الحربُ مستمِرّةً حتى اللّحظة الأَخيرة من العمر. ولكنّ اللهَ بروحِهِ القُدُّوس يُسعِفُنا ويَعطينا الغَلَبَة ولكن هل لدينا العزيمة الكافيَة لنُحقِّقَ الغَلَبَة؟ كلامُ بولس واحد واضح. المطلوب أن نتطَهَّر من أَدناسِ الروحِ والجسد. تطهيرُ الفِكر عمليةٌ تستمرُّ ما دامَ الإِنسانُ حيّاً. يبقى طَوالَ العمر في حربٍ مع الأَفكارِ الشرّيرة.

واللِّسانُ جحيمُ نارٍ كما قال يعقوب الرسول. مَن يَضبُطُهُ؟ لا يُضبَط ولكنّهُ مرتبطٌ بالفِكر. هل الِّلسان هو الفِكر؟ هو أداةٌ للتّعبير عن الفِكرِ فقط. فالخطيئةُ إذن هي خطيئة في الفِكر والنيّة، وينطقُ الِّلسانُ بما فاضَ بِهِ القلبُ. لكنّ زلّات الِّلسان كثيرةٌ جداً. متى غضِبَ الإِنسان ضاعَ صَوابُهُ ونَطَقَ بالكُفرِ والشتائم، وفي بِلادِنا كلّ الناس يُقسِمونَ الأَيمان على الطالع والنازل كما نقول في اللغة العاميّة. لا

عِلاج لهذا المرض العُضال لأَنّ كلَّ الناس يُدافعونَ عن أنفسهم بالسَهو والشَطط والعادة وعَدَم الإنتباه، أي يُبَرِّرون زَلقاتَ لِسانهم ولا يعترفونَ بالنَقص والخطيئة والضُعف. هذا مرضٌ عُضال في الإنسان. اَلِلسانُ جحيمٌ من جهنَّم، يُقسِم الأَيمان الصادقة والكاذبة وهذا ممنوع في الإنجيل. يسوع قال: نعم نعم ولا لا، وما زاد على ذلك فمِن الشرير، فالذينَ يقسمونَ الإيمان، عمَلُهُم هو عملٌ شيطانيٌّ.

والكَذِب مرضٌ عُضالٌ ايضاً. والرِّياء والنفاق والخُبث والمكر والخِداع والغش، هذا فضلٌ عن ذمِّ الآخرين والطَّعِن في شخصِهِم وسلوكِهِم وآدابهم وأَخلاقِهم وشرفِهم وعرضِهم والإفتراء والنَقد الغير البريء والشتائم التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى والتُّهَم الفاحشة. يُعَزِّزُ الناسُ ذلك بالأَيمانِ الباطِلة على صِحَّةِ كَذِبهم وافترائهم. ومِنَ الناسِ مَن يرتكب الجرائم بالفِعل، ومنهم مَن لا يُقدِمونَ على الأَفعال وإنَّما يرتكبونَ الجرائم باللِّسان والقلَم والأَفكار. فالقلَم أَضحى كذلك وسيلةً للشَتم والإفتراء والإيذاء والطَعن والقَدْح والذَّم ونَشرِ الأَعراض ونَشرِ السُمعة وتَشويه في الوقائع والحقائق وتَشويه سُمعَة الآخرين.

وهناك الملفِّقون الذين يلفِّقون الروايات ويختَلقون الروايات الكاذِبة برُمَّتها أو بأَجزاءٍ منها. الإنسانُ مُزوِّرٌ كبيرٌ. أَهواؤهُ تُزوِّرُ نفسَهُ وتُزوِّرُ أَفكارَهُ وأَقوالَهُ وأَفعالَهُ، ويَصدُر عنهُ كلَّ شيءٍ كَذِباً ونفاقاً وتزويراً وخِداعاً ومَكراً وتخفي الحقيقة. والحقيقة ليست سَهلة المنال. كلُّ ذلك بسبَب أهواءِ البشر الّذينَ يُزوِّرون كلَّ شيءٍ تِبعاً لأهوائهم ومصالحهم وعِداوِاتِهم وشرورهم.

والإنسان يُدافعُ عن نفسِهِ ضدَّ مَن؟ ضدَّ الحقيقة. الإنسانُ يرتكبُ المساوئ عَمْداً، وإن ارتكبَها سَهواً فالسَّهو دليلٌ على الّلاشعور، وكثيراً ما نقول: أُفلِتَ زِمامُ الأَمرِ مِنَّا وزَلَقَ لِسانُنا، وما كُنَّا منتبهين، وما كنَّا نُريدُ الأَمرَ... ولكن كلُّ هذا في الحقيقة يُعَبِّر عن لاوَعِينا. فوَعيُنا غيرُ نظيف. زلَقاتُ اللِّسان القَذِرَة هي دليلٌ كبيرٌ على ما في لاوَعِينا من شرورٍ.

حركاتُنا المرفوضَة التي نُدافع عنها بأَنَّها وقَعَتْ عَرَضاً وسَهواً وبدونِ انتباه، تُعبِّرُ كثيراً عن لاوَعِينا. الحركاتُ الطارئة هي التي تُعبِّر عن ما في لاوَعِينا من قَذارات. المطلوب دينيّاً أَن يتَطهَّر لا وَعيُنا. لا وَعيُنا فقط. يجب أَن نتطَهَّر باطِناً وظاهراً، أَن يطَّهِّر وعيُنا ولاوعيُنا، وأَن تُصبِح كلُّ أَفكارنا وكلُّ أَقوالِنا وهواجسنا وأَعمالِنا وحركاتِنا نابعةً من الإمتلاء من الرُّوح القدس. وهذا عسيرُ المنال بدونِ جهادٍ روحيٍّ مرير. فحينما يَغيبُ الوَعيُ قليلاً وتنخفضُ حِدَّةُ اليَقظة والنَباهة والإنتباه والحَذَر، يظهرُ معدنُ الإنسان في حركاتٍ وأفكارٍ وألفاظٍ مرتبطة بالّلاوعي.

فلذلك عمليةُ التطهير هي عمليةٌ شاقَّةٌ. نُطَهِّرُ الفِكر واللِّسان والحَواس والأَفعال والحركات.وتخرج الصالحات من قلبنا الصالح. فهل نستطيع ان نتطهَّر تماماً؟ لو كان ذلك مُستطاعاً لما تجسَّدَ المسيح ولَما ماتَ المسيح على الصليب ولَما غَسَلنا المسيح بدَمِهِ الطّاهِر ولَما كانت المناولة. نتناولُ كثيراً، ولكن هل انقَلَبنا جذريّاً ؟ لا. تبقى المناولة مساعِداً لضُعفِنا. ولكن مع التّكرار المتواصل بإيمانٍ ومحبةٍ وخَوفٍ، نتقدَّم في يسوعَ المسيح ونَصِل الى اتِّحادٍ مع ربِّنا يسوع المسيح. وهل نحنُ ضُعَفاء الى هذا القَدَر الذي يحتاجُ الى دمِ المسيح وجسدِ المسيح؟ نعم. نحنُ لا شيء، ننتَفخ باطلاً. ولولا تجسُّدِ يسوعَ المسيح وموتِهِ على الصليب لَكُنَّا جميعاً ذاهبينَ الى جهنَّم. المسيحُ

هو الذي يُنقِذُنا من جهنَّم وبدونهِ نحن سائرونَ الى جهنَّم. فهل نُفكِّر جيّداً بجهنَّم؟ لِننجوَ منها ولنلتجىء الى يسوعَ المسيح؟ لا. نحنُ نبيعُ السماء والأَرض. نحن لا نهتمُّ بمصيرنا بعدَ الموت.

مَن هو عدوُّ الإنسان؟ هو نفسُهُ عدوُّ نفسه. نتَّهِمُ الشيطان ونتَّهِمُ الآخرين ولَكِن في الواقع أنا عدوُّ نفسي. انا الذي أَتسبَّبُ في هَلاكِ نفسي وفي ذهابي الى جهنَّم. التطهُّر يتطلّب جهوداً مُضنيَةً وأنا مضطرٌّ الى برِّها لأَتجنَّبَ نار جهنَّم. لا خَيارَ لي: إمَّا الحياة الأَبديَّة وإمَّا جهنَّم. عليّ أن أَختار وأَن أُقرِّر مصيري بِيَدي والله هو الذي يُساعدُني للخلاص.

ولذلك فالحربُ شَرِسَة: حربٌ ضدَّ الأَفكار، وحربٌ ضدَّ الأقوال، وحربٌ ضدَّ الحرَكات، وحربٌ ضدَّ الأَعمال. ولا ننسى الحَرَكات أبداً علينا أَن ننتبه الى حركاتِنا، فحركاتُنا تُخبِرُنا عمَّا نُخفيهِ في باطِننا. نحن نقولُ: هذه حركاتٌ غير واعية، هذه حركات صدَرَت بدونِ انتباه. ولَكِن هذه الحركَات هي دليلٌ على حالتِنا الداخليَّة. ورجلُ الله لا تَصدُرُ منهُ إلّا الحَرَكات النبيلة والكلِمات النبيلة. هل يُمكن أَن يتفوَّهَ مؤمنٌ كبير بأَلفاظٍ دنيئة؟ وإِن دَسَّها الشيطان على فِكرِهِ فَهَل يَلفُظُها؟ لا. الشيطانُ موجودٌ لكَي تَزِلَّ أَلسنتِنا بكلامٍ بطّال.

إذا جدَّ شيءٌ وأقلقَني، فهَلْ تَصدُر الحركات منّي بإيمان، بدون غضب، بدون نرفزة، بدون حِقد، بدون حَنَق، بدون لؤم . هنا يظهرُ مَعدنُ الإنسان. إن شَتَمَني أَحدٌ فقابَلتُ ذلك ببشاشةٍ حقيقية وبصَدرٍ رحِب كنتُ الى حدٍّ بعيد طاهراً. ولكِن هل يستطيع الإنسان أن يصبرَ على ذلك؟ أَما يَحتدُّ قليلاً على الأَقَل؟ ولذلك فالجهاد الروحي معركةٌ كبيرة وطويلة الأَمَدّ. الحسَّاسون لا يحتملون التعرُّضَ لما يُسَمُّونَهُ كرامَتَهُم بل بالأَحرى كِبرياءَهُم وأنانيّتَهُم. الحسّاس أناني متستِّر، ومتكبِّر متستِّر، وغضوب متستِّر، ومحشوٌّ في لا شعورهِ بالغَضَب والكِبرياء والأَنانيّة. يجب ان تَسقط الحساسيَّة لكَي يصيرَ الانسانُ طويلَ البال، رَحبَ الصدر واسعَ القلب.

ومن أَينَ نأتي بسعَةِ القلب ورَحابَةِ الصَدر؟ إِنّها معركةُ العمرِ برُمَّتِه. نُبَسِّطُ الأُمور فنُصبح ذاهلين وأَغبياء. الأَفضل هو رؤيةُ الأُمور بعَينٍ كبيرة. وكأمورٍ، هي هائلة وفاشلة. ليسَت الخطايا من صغيرٍ وكبير. كلُّ الخطايا تُدَنِّسُ الإنسان وشَرَفَ الإنسان. فلذلك نُكافحُ ضِدَّ كلِّ الخطايا وضِدَّ السهو. ندافع كثيراً عن أنفسنَا بالسَّهو، وما هو السَّهو؟ هو وقتٌ كثيرٌ في اليَقظة والسَهَر فَتَفلُت الأُمورُ مِنّا وتظهر حقيقةُ الّلاوعي. قد يكونُ الإنسانُ مؤدَّباً خارجيّاً، ولكن هل نعلم ما يجولُ في فِكرِهِ؟ يُسَيطِرُ على نفسهِ أَمامَنا ولكن إذا خلا في نفسهِ فما هي أحوالُهُ؟ أَنا عدوُّ الفصيل لأَني أَعرِفُ أَنّ الإنسانَ جحيمٌ من الخطايا ويجب أَن يعرِفَ ذاتَهُ معرفةً تامَّةً كإنسانٍ خاطئٍ، كيَنبوعٍ غزيرٍ من الخطايا. متى اكتَشَفتُ ذاتي، داوَيتُ نفسي. ما هي وظيفة الطبيب؟ أَن يكتشف العِلّة ويُداويها. وعلى الإنسان أَن يكتشف العِلَل فيه. ولكن من العسير جداً أَن تنقلبَ عينا الإنسان الى الداخل فعَيناهُ متوجِّهَتانِ الى الخارِج، لا يرى الخشبة في عينِه. يلومُ الآخرين ولا يلومُ نفسَهُ، ويبرِّر نفسَهُ دائماً بإلقاءِ التُّهَم على الآخرين وعلى القدَر وعلى الكَون وعلى العالم وعلى الأَشياء. في كلّ الظروف هو محامٍ عن نفسهِ، يحُامي باطلاً عن نفسهِ. يتَّهِمُ الغير والكون ولا يَتَّهِمُ نفسَهُ ومن الأَفضل أَن يقولَ أَنا مُذنبٌ أَنا خاطئٌ. إن تابَ غَفَرَ له الله وان لم يَتُبْ أُمسِكَتْ عليهِ خطاياه.

اللهُ يسكنُ فينا وهو إلهُنا. هذا صحيحٌ ولكن مَن استفادَ منهُ؟ هل قَبلوه؟ أما وبّخ كفرناحوم وبيتَ صيدا على رفضِهِم إيّاه؟ وهدّدَهُم بعقابٍ وهدّدَ أورشليم بعقاب عنيف شديد؟ في كلامِ يسوع أدِلّة على أنّهُ غطّى فلسطين بالعجائب الباهرة ومع ذلك كَفَروا بهِ وصَلَبوه. عاشوا معَهُ، ورأوهُ بأعيُنهم، لمسوهُ بأيديهم سمعوهُ بآذانهم، شاهدوا آياته الباهرات، وبكَثرةٍ رائعة عظيمة ومع ذلك بَقوا كافرينَ بهِ. هذا هو الإنسان!

ولكنَّ يسوع المسيح باركنا بالمعموديّة والميرون والمناولة والإنجيل لتحسينِ أحوالنا، ولكن هل نعيشُ ايمانَنا المسيحي؟ هل نعيشُ الإنجيل، هل نعيش القُربانَ المقدّس؟ هل نَحيا مع المسيح وفي المسيح وللمسيح وبالمسيح؟ لا شكَّ أنّ إيمانَنا بالمسيح هو مكسَبٌ كبير وإن كان إيماناً فاتراً ولكن على رجاء أن يتحوّلَ هذا الإيمانُ الفاتر الى حرارةٍ قُدسيَّة، الى حرارةِ الرُّوح القدس. المؤمنونَ العاديُّون كثيرون فيبقى أن يلتهبوا بالرُّوحِ القُدُس ليصيروا لهيباً من الرُّوحِ القُدُس له المجد والإكرام آمين.

نحنُ إذاً مُعَدُّون لأن نكونَ لابسينَ المسيح، لابسينَ الرُّوحَ القُدُس، لابسينَ الّلاهوت. إيمانُنا المسيحي مكسَبٌ كبير ولكِن بشرط أن نجعلَهُ إيماناً حقيقيّاً يستغرِقُ كلَّ كيانِنا روحاً وجسداً ويُصبح المحرِّك الرئيسي الذي يحرِّك كلَّ كيانِنا. هذه النعمةُ عظيمةٌ جداً. أن أُصبِح أنا التراُب مَسكِناً لله؟ هذا شيءٌ عظيم.

في كورنثوس الثانية الفصل 4 الآية 6 : " لأنَّ الله الّذي أمَرَ أن يُشرِقَ من الظلمةِ نورٌ، هو الّذي أشرَقَ في قلوبنا لإنارةِ معرفة مجدِ الله في وجهِ يسوعَ المسيح". ومن أينَ لنا هذا المجد في نَظَر بولس؟ في آنيةٍ خزَفيَّة، لِيكونَ القُدس لله لا لنا. أنا إناءٌ من خزَف، ومع ذلك أشرَقَ اللهُ في قلبي وصِرتُ مَسكناً للّاهوت.

يا للفخر، يا للمجد! هذا الإناء الخزَفي يصيرُ مسكِناً للإله الحيّ. أيُّ إحسانٍ أعظمُ من هذا الإحسان؟ ولَكِن هل أعترفُ من كلِّ كياني أنّي إناءٌ خزَفيّ بلا قيمة إلّا في يسوع المسيح؟ إن كنتُ إناءً خزَفياً فَما قيمتي؟ وما قيمةُ الإناء الخزَفي وما قيمةُ الفخّار؟ ولكن هذا الفخّار يمتلئ من الروحِ القُدُس بإرادَتي. وبإرادَتي أنا أُحوِّلُ إنائي الخزَفي الى مجدٍ إلهي. فإذن كلُّ الأُمور مرتبطة بإرادتي، إنما عليّ ان أتطهَّر من كلِّ أدناس الروح والجسد وأن أُكمِّلَ القداسة بمخافة الله. والقداسة هي أن أخرُجَ من ذاتي لأَسكُنَ ذاتي في يسوعَ المسيح.

ما قيمتي إذاً؟ قيمتي كبيرةٌ في يسوع المسيح، وبدونِ يسوعَ المسيح أنا فخّار. وهذا الفخّار يلبسَ يسوع المسيح فيصيرُ هيكلاً لله. يا للمجدِ الإلهي! وإذا كان الله قد مجَّدَني بهذا العطاء السخيّ، فما هو في المقابل؟ المقابل أن اعيشَ له، وفيه، وبهِ، ولأجلِهِ، مسبِّحاً اللهَ في السِرِّ والعَلَنِ، وماثِلاً ذاتي برُمّتي على مذبحِهِ المقدّس السمَاوي لكي يُعيدَ جبلَتي من جديدٍ فيه، وكلُّ شيءٍ فيهِ، وبهِ، ولَهُ، ولأَجلِهِ، لهُ المجد والإكرام والسُجود الى أَبَدِ الآبدين ودهرِ الداهرين آمين.